

مقاربة ابستيمولوجية في كتاب "الأسطوري التأسيس والتجنيس والنقد" لمحمد الأمين بحري
Apostoli approach in the Book " the mythical ,fondation, naturalisation
and Criticisme" by Mohamed El- Amine Bahri"

د. أمال ماي

جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي - (الجزائر) amelmay@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/05 تاريخ القبول: 2021/11/10 تاريخ النشر: 2021/12/20

ملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى النباش في معالم التجربة النقدية عند الباحث " محمد الأمين بحري " من خلال كتابه الأسطوري التأسيس والتجنيس والنقد؛ أي أنها تشتغل على النقد الأسطوري من جهة وعلى الأسطورة والأسطورة الأدبية من جهة ثانية. ومن منطلق هذا تنتهج المقاربة الابستيمولوجية (نقد النقد) في قراءة هذا المؤلف، وذلك وفق مرتكزات ثلاث: المصطلح، المنهج، الممارسة، لتخلص إلى أنّ "الأسطوري" نقديا عند بحري هو آلية اشتغال العناصر والرموز الأسطورية داخل الجنس الأدبي وفق آليتي "التناسص الأسطوري" و "الميثاق الأسطوري".
كلمات مفتاحية: الأسطورة؛ النقد الأسطوري؛ التناسص الأسطوري؛ الميثاق الأسطوري؛ الحوارية.

Abstract:

This research paper seeks to dig in to the Futures of the monetarist experience of the researcher "Mohamed El-Amine Bahri through his book" the mythical fondation naturalisation and criticism" it work on mythological criticism on the one hand and literary myth on the other.

As such, the apostolic approach produces criticism in reading this authoral ong three lines the term, syllabus, practice, to conclude that " the mythical critique" of bahri is the mechanism for the operation of mythical element and symbols within a literary race according to twomechanisms: mythical harmony, and mythical charter.

Keywords: Myth; The mythical critique; Mythicals ymmetry; The mythical charter; Interactive.

1. مقدمة:

تأخر ظهور النقد الأسطوري عند العرب إلى أواخر السبعينيات، وذلك بعد عملية الترجمة التي قام بها بعض النقاد العرب ومنها: ترجمة "جبرا إبراهيم جبرا" أحد أجزاء (الغصن الذهبي) لجيمس فريزر (James George Frazer) (أدونيس 1957)، و ترجمة إحسان عباس ويونس نجم الدين كتاب (النقد و مدارسه الحديثة) ل: تستايلي هاثمن، ثم ترجمة محي الدين صبحي لكتاب نروثروب فراي (Northrop Frye) (تشریح النقد).

وبعدھا تلتھا عملية التأليف ومن الأقلام النقدية التي كتبت في هذا المجال نذكر على سبيل التمثيل: "مصطفى ناصف" (قراءة ثانية لشعرنا القديم)، "عبد الفتاح محمد أحمد" (المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي)، "أحمد كمال زكي" (التفسير الأسطوري للشعر القديم)، "سمير سرحان" (التفسير الأسطوري في النقد الأدبي)، "علي البطل" (الصورة في الشعر العربي حتى القرن الثاني هجري)، "يوسف حلاوي" (الأسطورة في الشعر العربي)، "أنس داوود" (الأسطورة في الشعر العربي الحديث) محمد الصالح البوعمراني" (أثر الأسطورة في لغة أدونيس الشعرية)، محمد عبد الحفيظ كنون الحسني" (السمات الأسطورية في الشعر الجاهلي)، "عبد الرضا علي" (الأسطورة في شعر السياب)، "منجية التومي" (فتنة الأسطورة و سطوة السياسية، قراءة في شعر عبد الوهاب البياتي)، وغيرها من الكتب التي التفتت إلى التوظيف الأسطوري، وفي مجال الرواية ونذكر منها "نضال الشمالي" (النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة) وتلتها أبحاث أكاديمية في هذا المجال.

ولعلّ الساحة الأدبية و النقدية في الجزائر لم تكن بمنأى عن استقبال النقد الأسطوري وهي كنظيرتها العربية عرفت تأخرا ملحوظا، حيث تعد بداية التسعينيات الانطلاقة الفعلية له على يد الباحث "عبد المجيد حنون" في شكل مشروع دراسات عليا في الأدب المقارن تخصص الأساطير الأدبية، لتكفل بعض الأبحاث الأكاديمية بالنشر، وهي السمة اللصيقة بالنقد الأسطوري في الجزائر.

ويعدّ كتاب محمد الأمين بحري أهم محاولة مجردة من عباءة الأكاديمية ومرتدية زي الإبداع النقدي، حيث تجلّى هذا من بنية العنوان "الأسطوري التأسيس والتجنيس والنقد" والذي يلقي بظلاله على مجالات ثلاثة: التأصيل (مفهوم الأسطورة)، ثم التجنيس ومحور السلالات الأسطورية (التجنيس حلقة وصل بين الإبداع الأدبي والنقد)، وانتهاءً بالنقد فضاء إنزال المقولات إلى حيز التطبيق.

ولهذا تسعى هذه المقاربة إلى معالجة إشكالية المفهوم والتجنيس والتطبيق عند الباحث "محمد الأمين بحري" بدءً بمهية الأسطوري مروراً بالسلالة الأسطورية وصولاً إلى تطبيق النقد الأسطوري على النصوص الأدبية. وهي تهدف إلى ملامسة التجربة النقدية في مجال النقد الأسطوري عند الباحث محل الدراسة، وإدراك الطريقة والآلية التي انتهجها في دراسة النصوص الأدبية متجاوزاً بها الاجتزار المفاهيمي للأسطورة والأسطورة الأدبية إلى الدراسة المائزة عمماً قدمه الباحثون في هذا المجال. ولأنّ هذه الدراسة تندرج في نقد النقد؛ أي نقد الأفكار الأدبية بتعبير "أدريان مارينو" (Adrian Marino) فإنّها تتجاوز إعادة إنتاج النص النقدي إلى تحليله و فق الآليات الآتية: المصطلح، المنهج، والخلفية الفكرية والمعرفية التي استند إليها الباحث.

2. المؤلّف، الأسطوري التأسيس والتجنيس والنقد - دراسة في النقد الأسطوري لصاحبه

"محمد الأمين بحري":

يندرج هذا الكتاب في مجال النقد عامة و النقد الأسطوري خاصة، و الذي يفتح على مجالات معرفية أخرى كعلم النفس، علم الاجتماع، الفلسفة، الأنثروبولوجيا، الميثولوجيا، اللغويات، و هذا يعود إلى مجال اشتغاله المفتوح على مختلف التخصصات/ الأسطورة. وهو مؤلف في ثلاثمائة وخمسين صفحة (350) توزعت على أربعة فصول شملت دراسة تفصيلية للعنوان؛ هذا الأخير الذي ألقى بظلاله الأسطورية على البنية اللغوية و المرفولوجية للكتاب، فحاء مزاجاً بين النظرية و التطبيق، حمل الفصل الأول عنوان: **الأسطورة من التأسيس إلى التقديس** (وفيه اشتغل على الأبعاد الثلاثة؛ البعد الديني والفلسفي للوجود) (سؤال المصدر)، البعد الفني (سؤال الوظيفة)، البعد العلمي (سؤال المصير).

أمّا **الفصل الثاني عنون ب مواقع الأسطورة ومظاهرها الحيوية** ليحدد بذلك النظرة الحديثة للأسطورة. في حين وسم الفصل الثالث ب: **الأسطوري التأسيس والتجنيس**، وكان مجال اشتغاله الأسطورة الأدبية والأجناس الأسطورية، ممهداً بذلك إلى الحديث عن المنهج الأسطوري. وهو ما ضمّه الفصل الرابع والأخير: **النقد الأسطوري الأطروحات - الآليات - الاشتغال أين طبق أهمّ** مقولاته المنهجية و أدواته الإجرائية على نصوص شعرية و نثرية.

3. المصطلح/ المفاهيم/ الأسطورة، الأسطوري:

يقرّ الباحث " محمد الأمين بحري " «بتحديد البحث الأسطوري و تظاهراته العلمية والفنية والأدبية، ونقده بما توافر من مناهج و مساءلات تحليلية» (بحري، 2018، صفحة 15)، ويرى أنّه بات أمراً ضروريا لا مناص منه لإعادة تقديم أبحاث تتجاوز الاجترار المفاهيمي لما تم تقديمه في هذا المجال.

ومن هنا يفرض علينا التساؤل عمّا قدمه "محمد الأمين بحري"، فهل قدم "بحري" الأسطوري في قوارير جديدة أم أنّه أخرجها عن السائد المؤلف؟

ينطلق الناقد من الفصل المفاهيمي لمصطلحي الأسطورة والأسطوري محددًا حدود التواصل والتفاصيل بينهما تمهيدا منه للحديث عن التجنيس (الأجناس الأسطورية و الأدبية). إنّ المنحى المعرفي الذي سلكه الناقد في مؤلفه بدأ بالتأسيس وانتهى بالتقديس؛ أي بدأ بتأسيس المعرفة الإنسانية البدائية لأسئلة الوجود، وما أقصده هنا الأسطورة باعتبارها صاغت أسئلة الوجود التي تفرعت عنها العلوم والمعارف وتداخلت، وتمثلت هذه الأسئلة في:

سؤال المصدر الذي أسس للتفكر الديني، و**سؤال الوظيفة** الذي أسس للفكر الإبداعي والفني، و**سؤال المصير** الذي أسس للعلوم التجريبية والطبيعية والطبية والمعمارية، وبالتالي نعود إلى الأسئلة التي طرحها "ميرسيا إلياد" (Mircea Eliade): هل الأسطورة هي الدين؟ و هل الأسطورة هي العلم؟ و هل هي الفن و الجمال؟

3-1 مصطلح الأسطورة "mythologie:

ينطلق الباحث "بحري" في تحديد حدود مصطلح الأسطورة من الاستعمال اليوناني لكلمة "ميثوس" (muthos) الدالة على الحكيم الذي لا يخرج عن هذا المدلول، وهو في هذا ينطلق من نقاط ثلاث: الوظيفة، المصدر، المصير، متسلحا ما أمكنه بالمنهج الحفري الأركيولوجي الذي ينبش في الجينات التكوينية للأسطورة بداية مع اليونانيين، عارضا أيها في مرآة الفلسفة الأفلاطونية والأرسطية ليخلص أنّ مصطلح الميثوس دال على الحكيم بنوعيه الخيالي والعقلي، ومن ثمة تفريقه بين الميثوس و اللوغوس (logos) ذاهبا مذهب الباحث "مارسيل ديتيان" في أنّ الميثوس "تشير إلى حديث النفس والروح" وهي «تتم عن قصد تبجيلي» (ديتيان، 2008،

صفحة 138)، ليخلص إلى نتيجة مفادها أنّ الأسطورة خطاب عقلي تخيلي في الميثولوجيا الغربية وظيفتها إثبات و تفسير ظواهر الكون المختلفة المحيطة بالإنسان في صيغة حكائية درامية مقدسة. كما استعان الناقد في إيجاد المفتاح الأصلي للأسطورة بميادين المعرفة المختلفة التي تمثل مدخلا إلى علم الأساطير، حيث أضى البحث المشتغلين عليها و المهتمين بها، و هذا ما أقره الباحث "راثين" قائلا: «إنّ أي امرئ يبحث دراسة الأساطير كما أفعل أنا هنا، ينبغي أن يرتعد من معرفته المؤهلات الدقيقة التي يجب أن يوظفها في هذه المهمة (...). إنّ علم الأساطير موضوع له حقه (...). ينظم تحت عدد من المواضيع، كالكلالسيكيات و الأنثروبولوجي، و الفولكلور، و تاريخ الأديان، و علم اللغات، و علم النفس، و تاريخ الفن، فكل واحد من هذه العلوم ينظر إلى الأسطورة في ضوء ما هو مشغول به» (راثين، 1981، صفحة 12).

إنّ هذا التعدد والتفكّلت المفاهيمي للأسطورة حسب ما ذهب إليه الناقد "راثين" يخصّب العلوم المعرفية و يغذيها؛ فضباية و تشرذم المفهوم التي تضع الباحث في مجال الأساطير في حيص بيص يراها "بحري" تراكما معرفيا «يشري البحث الأسطوري الذي صار من هذا الموقع التوسطي بين العلوم الإنسانية؛ ملتمقى جامعا لها وقاسما مشتركا بينها من شأنه أن يجعلها تفيده من بحوث بعضها البعض، (...). وليست الأسطورة في نظرنا سوى نقطة التقاء فكرية، على العلماء استثمارها من أجل خلق مزيد من التراكم المعرفي الخلق بتطوير علم أو علوم جديدة تتخلق منت هذا التشرك والزخم النظري والتطبيقي بين العلوم» (بحري، 2018، صفحة 40).

وإذا كان هذا نتاج سؤال الوجود فإنّ سؤال المصدر/ مصدر الطبيعة "الحقيقة و الوهمية" أفضى بالباحث إلى ربط الأسطورة بالمستوى الأخلاقي الناتج عن تزواج خطابي التخيلي و العقلي معا، اللذان يغذيان الجانب المقدس في الأسطورة، «هكذا يصبح المقدس هو البداية و النهاية التي تحيك الأسطورة التي تؤسس لتفكير جدي، و مغامرة وجودية تزود الإنسان بمجملته من استكشافاته لذاته مما يجعلها أخلاقية Ethos. تتحد في مكانة و قيمة الإنسان بين الموجودات في هذا الكون» (بحري، 2018، صفحة 26). إنّ قداسة الأسطورة تعزز فكرة الحقيقة؛ «الأسطورة حقيقة لا يتلبسها الباطل» (بحري، 2018، صفحة 26)، وهي نابعة من كونها خطابا ثلاثي الأبعاد: الباثوس (PATHOS) الإيثوس (ETHOS)، اللوغوس (LOGOS)؛ الأخلاق، الوجدان، العقل، والغاية منها الإقناع كونها «تعد أدوات فاعلة في التأثير على المخاطب إلى حدّ التغيير في نمط تفكيره، و تبديل سلوكه» (دريس، 2018، صفحة 59).

ولهذا الأمر تحديدا وصفت الأسطورة بأنها «الحقيقة المطلقة في نظر إنسانها الباحث عن الحقيقة بكل ما أوتي من قدرات تخيلية و عقلية، حيث يفرز لنا مصطلح ميثولوجيا خطابين(عقلي مدرك وتخييلي محكي)، ومستويين (أخلاقي ودرامي) وتقول الثنائيتين في نهاية تحليلهما القولي والسلوكي إلى نوع من العلاقة الروحية التي تربط الإنسان بالأسطورة» (بحري، 2018، صفحة 28) .

أما سؤال الوظيفة مرتبط بالفن والإبداع وبالطاقة الرمزية التي تكتنفها الأسطورة والتي كانت الباعث على ظهور فنون عدّة كالمسرح والرقص، والموسيقى، وغيرها، ورغم تراجع بريقها مع التفكير العلمي إلا أنّها صاغت رغبة الفنانين والمبدعين على مرّ العصور والمراحل التاريخية، ففي كنفها تبلور الفن والإبداع وبقيت محافظة على جوهرها وخصوصيتها، ويعود هذا التراجع حسب الباحث إلى الجهل البشري من جهة، و إلى القصور في استيعاب أبعاد الأسطورة من جهة أخرى.

إنّ الأسئلة الثلاث للأسطورة أو ما أصطلح عليه "هنزيم الرعد"؛ مصدر الوجود البشري ووظيفته ومصيره، هو ما شكل اللحظات الثلاث الكبرى التي «بلورها الوعي الأسطوري الذي جعل من أسئلة هنزيم الرعد الثلاثة إيذانا ببداية مرحلة جديدة من مراحل الفكر الأسطوري وهي مرحلة التقديس التي طرحت للوجود أول أشكال الديانات البدائية وهي الوثنية التي بدأت بالناسوت المسد، الحامل للزخم المقدس الذي يلف اللاهوت المجرد» (بحري، 2018، الصفحات 62-63).

وعليه فمفهوم الأسطورة عند "بحري" يتكئ إلى مرجعية دينية، تاريخية، تعود بالمصطلح إلى الأصل الإغريقي باعتبارها حكاية حقيقية مقدسة وظيفتها التواصل والإقناع، تحمل بداخلها خطابا عقليا مدركا وخياليا روحيا، وهذا في جوهر الأمر تلخيص وإمام لما ورد عند عديد النقاد "كفراس السواح"، و"ميرسيا إلياد"، و"عماد علي الخطيب"، وغيرهم، حيث يقرّ فراس السواح «بأنّ الأسطورة نظام فكري متكامل، استوعب قلق الإنسان الوجودي و توقه الأبدي لكشف الغوامض التي يطرحها محيطه، والأحاجي التي يتحداه بها التنظيم الكوني المحكم الذي تتحرك ضمنه، إنّها إيجاد النظام حيث اللانظام، وطرح الجواب على ملحاح السؤال، و رسم لوحة متكاملة للوجود» (السواح، 2002، صفحة 19)، حيث يضم هذا التعريف أسئلة الأسطورة الثلاث، ومهما يكن فإنّ "بحري" صاغ تعريفا للأسطورة بعد بحث أركيولوجي جينالوجي في المصطلح لخص كلّ محطاتها بدءا من قداستها إلى دونيتها أين اختلطت مع الجناس الأدبية و أنتجت الأجناس الأسطورية.

3-2 الأسطوري le mythique :

مصطلح يشمل كل « مادة ثقافية تنبثق عن الأسطورة و تنتمي إليها و تتميز بخصائصها» (بحري، 2018، صفحة 183)؛ بمعنى أنّ الأسطورة تتحول إلى أسطوري أثناء استدعائها و توظيفها في العمل الأدبي و الإبداعي، فالأسطوري يضم الأسطورة الفعلية و الممكنة التي تمزق ثيابها لترتدي لبوسا عدّة، وهذا ما اصطلح عليه "بحري" ب"السيستام الأسطوري" - مستعيرا إياه من عند" ليفي شتراوس" (Claude Lévi-Straus) - الذي يمنح الأسطورة طاقة الترميز، و بالتالي يصبح الأسطوري صورة مستنسخة عن الأسطورة بفعل التحوير و التحويل أو التشويه و التغيير الذي يفقد الأسطورة قداستها و يجعلها أسطورة أدبية؛ أي أننا إزاء فعل التجنيس. فتتحول بذلك الأسطورة من التقديس إلى التدينس - ولو كنا نفضل التحتية أو الدونية - و من الوحدة الدلالية إلى التعدد الدلالي، «و من جنس واحد إلى أجناس عدّة (ملحمة، خرافة، قصة مآثر .. الخ) وفي مرحلة لاحقة لتتناسل عن الأجناس الأسطورية أنواع أدبية لاحقة ستبقى مفتوحة و متكاملة إلى ما لا نهاية» (بحري، 2018، صفحة 187).

فالأسطوري إذن ما هو إلا توظيف الأسطورة في العمل الإبداعي لاسيما الأدبي الذي يمنح الأسطورة حياة جديدة تتوافق ورؤى الحاضر ما يجعلها سيفا مسلولا على الزمن؛ بمعنى أنّ اللّحظة التاريخية لتوظيف الأسطورة داخل العمل الأدبي ما هو إلاّ الأسطوري.

4. التجنيس الأسطوري:

ننطلق بداية من سؤال مهم يوضح الأسباب المعرفية والمرجعية التي جعلت الناقد "بحري" يتبنى مصطلح التجنيس بدل الجنس، فهل الجنس والتجنيس وجهان لعملة واحدة؟ أم أنّه لكل مصطلح مرجعياته التواصلية؟ و هل التجنيس يجعل من الأسطورة جنسا أدبيا؟ إنّ مصطلح التجنيس يدل على الفعلية والحركية، في حين أنّ الجنس الأدبي هو «كل نوع أدبي يفتح أفق انتظار خاص به، و يتكون عندما تشترك مجموعة من النصوص في إبراز العناصر نفسها قد تكون أساسية و أخرى ثانوية، عدم الالتزام بالعناصر الثانوية لا يؤثر على انتماء النص إلى نوع آخر، أو تؤدي إلى خلق نوع جديد» (كليطو، 2006، الصفحات 25-26) .

إنّ هذا الخروج و هذا الخلق قائم على عنصري المحاكاة و موضوع المحاكاة و هذا ما يؤدي إلى تشكل أجناس جديدة هي نتاج التحول الأجناسي والتطور الأدبي، في حركيته الديناميكية التي تولد بالضرورة

جنسا جديدا يحمل جيناته و سيماته مما انبثق منه و يتجاوزها إلى خصائص تحقق فرادته و تميزه، أو تحقق خصوصته و شعريته التي تجعل منه جنسا جديدا ناتجا عن فعل التجنيس، ولعلّ هذا ما يؤسس لشريعة المصطلح عند "بحري" حيث أنّه يبحث في الأجناس الناتجة عن فعل التجنيس (التوظيف) بدل الجنس الأدبي في حدّ ذاته و هذا مجال اشتغال النقد الأسطوري.

فالتجنيس الأسطوري إذن عند "بحري" مصطلح بديل للأسطورة الأدبية، وهذا الاصطلاح الذي ارتضاه -الناقد بحري- يوقعه في ضبابية التحديد المفاهيمي، حيث يجعل من كل توظيف للأسطورة يدخل تحت مظلة الجنس الأسطوري، لكن ألا يدحض هذا ما أورده الناقد "بحري" سابقا في تحديده لمفهوم الأسطورة (خطاب عقلي تفسيري شرعي)؟ و هل يمكن للأسطورة أن تكونا جنسا أدبيا؟ إنّ الإجابة هنا بالنفي إذ من الصعوبة بمكان أن نقول عن الأسطورة إنها جنس أدبي، كونها بناء فكريا عقليا مقدسا فهي تدخل في تشكّل الأجناس الأدبية إلّا أنّها تتجاوزها لسموها و قداستها و سرمديتها.

5. النقد الأسطوري la mytho critique

مصطلح ذيلّ به عنوان كتاب "الأسطوري التأسيس و التجنيس و النقد- دراسة في النقد

الأسطوري- " لمؤلفه "محمد الأمين بحري"، و هو فرعي ضم في مضانه آلية دراسة اشتغال الأسطورة في النص الأدبي أو تحويل الأسطورة إلى أسطوري. و النقد الأسطوري ظهر على يد "بياربيرنال" (pierre brunle) و يجد إرهاباته و بذوره في منطلقات أنثروبولوجية، ثقافية، مفاهيم نفسية فرويدية و يونغية (اللاشعور الجمعي) و فلسفية؛ بمعنى أنه يعود إلى النظريات و المدارس التي حاولت تعريف الأسطورة و ضبط الاختلاف بينها و بين بقية الأجناس و المعارف (الدين، الطقس، الخرافة، الحكاية، العلم).

وإذا كان النقد الأسطوري يشتغل على « تقصي الجزئية التي تحيل على إطار أوسع، بذلك يكون حاملا للمعاني على النصوص، أو متسائلا عنها» (عليوي، 2013، صفحة 14).

فإنّ "بحري" انطلق من التمييز و الفصل بين التحليل الأسطوري و النقد الأسطوري معتبرا مجال التحليل الأسطوري «فضاء أوسع و أشمل بكثير من مجال النقد الأسطوري المتخصص و المنهجي» (بحري، 2018، صفحة 255) قائلا «إنّ النقد الأسطوري هو دراسة منهجية خاصة بالنصوص الأدبية تهدف إلى استخراج و فرز عناصرها الأسطورية و تحليل علاقاتها البنيوية و الدلالية و الجمالية، بينما التحليل الأسطوري أوسع منه و أرحب مجالا باعتباره دراسة للسياقات الأسطورية المتعلقة بالحياة البشرية و

سلوكياتها اللاواعية، وليس بالنصوص الأدبية. دون أنّ يحتاج التحليل الأسطوري إلى منهج صارم يؤطره، بل يكفي بتأمل الظواهر و تحليلها في ضوء الثقافات المحلية و العالمية، وربطها بسياقاتها ومرجعياتها الأسطورية الكبرى» (بحري، 2018، الصفحات 258-259).

وجاء هذا الفصل تطبيقاً لمقولات النقد الأسطوري التي صاغها "برونيل" (التحلي **émurgence**، الإشعاع **irradiation**، المطاوعة **flexibilité**) بمختلف آلياتها، غير أنّ الدارس للمؤلف يلقي توليفة منهجية تتجاوز مقولات النقد الأسطوري، و لعلّ هذا راجع إلى معاملة الناقد الأسطورة كنظام سيميائي تواصلية بالدرجة الأولى، بل نجده أوجد صيغة للدراسة لحضور الميثة داخل العمل الأدبي (شعرا كان أم نثرا) اصطلاح عليها بمصطلح "الميثاق الأسطوري"، حيث يعدّ هذا الأخير من اقتراح الناقد، وهذا ما أقره قائلًا: «مصطلح الميثاق الأسطوري، من اقتراحنا، ولم نقتبس من دراسة سابقة، لذا سيبدو جديدًا على القراء، و قد اشتققناه من الملاحظات التي سجلناها عبر قراءتنا لمنجزات الأنثروبولوجيا الميثولوجيا و تاريخ الأديان، حيث وجدناه في مختلف الأساطير بنية تلازمية قائمة على الضرورة و السببية بين العناصر (التقديس - التدنيس - الخطيئة - اللعنة)، وهي المعادلة الميثولوجية الثابتة في كل الأساطير، بحكم التعالق الحلقي و السببي بينهما، حيث يستدعي كل عنصر صنوه الذي يليه» (بحري، 2018، صفحة 282)، و وفقه قدم نموذجًا تحليليًا لتحلي الميثاق الأسطوري في قصة الفخ "لإبراهيم الكوني"، ويقرّ الباحث هذا نهاية تحليل القصة قائلًا: «(...) يعتبر من أهم غايات النقد الأسطوري الذي لا يتوقف عند حدود هذه الإجراءات الثلاث (التحلي، الإشعاع، المطاوعة)، بل يمتد إلى آليات شديدة التنوع والعمق في مظهره التناسي الذي يمنح النقد الأسطوري بعدًا إنتاجيًا يطوع الإجراء النقدي كما المتن الأسطوري الذي يجلله في مختلف النصوص الأدبية» (بحري، 2018، صفحة 290).

لكن السؤال المطروح هل هذا ما قصده الناقد "بحري" بكلمة التجديد في هذا المجال؟ و هل يمكن تطبيق مثل هذا الإجراء على كل النصوص الأدبية؟ هل تستجيب طبيعة الأسطورة والأسطوري إلى مثل هذه الآلية النقدية؟ إننا لا نستطيع الجزم بمدى فعالية هذه الآلية النقدية الإجرائية و تطبيقها على الأسطورة والأسطوري؛ لأنّ انتهاك الأسطورة في العمل الأدبي ليس بالضرورة هو جريمة تتطلب الجزاء من جهة، ومن جهة ثانية أنّ مجال النقد الأسطوري هو الأسطورة الأدبية بالدرجة الأولى كونه يشغل على التشويهاً والتغييرات التي تطل بنية الأسطورة الأم من ناحية وتشكيله للخلفية الأسطورية من ناحية أخرى.

وفي آليته الثانية "التناس الأسطوري" يحاول الناقد ملامسة النصوص الأدبية سواء بالسرد الشفوي أو التأليفي، راصدا أبعادها الأسطورية في النص الإبداعي، و قد وقع اختياره هذه المرّة على رواية "جنوب غرب طرودة...جنوب شرق قرطاجة" و القصائد الشعرية، قصيدة سربروس في بابل" من ديوان أنشودة المطر للشاعر العراقي "بدر شاكر السياب" قصيدة البعث و الرماد من ديوان "أوراق في الريح" للشاعر والمفكر السوري "أدونيس"، قصيدة "راية القلب" من ديوان "حطب أخضر" للشاعر و الروائي الفلسطيني "إبراهيم نصر الله وهي قصائد تنزع للتوظيف الأسطوري خاصة و الموروث الشعبي عامة لمعالجة الواقع، أو الوجود بلا موجود.

فبعد تحديده لمصطلح التناس الأسطوري الذي «هو توظيف جمالي و أدبي للتراث الأسطوري الإنساني في النصوص الأدبية بغرض تعميق دلالتها، و تكثيف إشعاعها الرمزي و منهجها بلاغة أساطيرية تعبيرية إضافة على مقولاتها الأدبية، بغرض إيجاز المعنى و تبليغه» (بحري، 2018، صفحة 301). راح الناقد يلامس النصوص المختارة بفتحة شهباء القراءة و إن كانت لا ترضي و تشفي غليل القارئ، كونه لم يتجاوز الآلية الأولى للنقد الأسطوري و هي التحلي، حيث تعامل مع الأسطوري وفق الميثاق الأسطوري والتناس الأسطوري وهما آليتين للمقولة المنهجية الأولى عند برونييل (التحلي).

6. خاتمة:

ومن على شرفة ما تقدم نقول:

- إنّ الأسطورة عند "بحري" من خلال مؤلفه محل الدّراسة هي خطاب عقلي تخيلي مقدس سرمدى، يثبت حضوره في كل زمان و مكان و يتمظهر بصفة خاصة في الأسطوري الذي هو سمة إبداعية تخرج الأسطورة من دائرة القداسة إلى الدونية، لتصبح إمّا تناسا أو رمزا أو علامة سيميائية، و هي إذ ذاك تخلق جنسا أدبيا يندرج تحت عباءة الجنس الأسطوري (الملحمة، قصة، مآثر، رواية، مسرح، خرافة)، ولدراستها يتطلب من القارئ التسلح بآليات النقد الأسطوري التي لخصها الناقد "بحري" في الميثاق الأسطوري و التناس الأسطوري كإجراءين نقديين كفيّلين بهتك حجب المعنى المستدعى من خلال التوظيف.

- إنّ الأسطوري و الأسطورة الأدبية وجهان لعملة واحدة، و إن كان استخدام هذا المصطلح يضع القارئ بداية في متاهة المصطلح و دهاليز المعنى، والذي لا يخرج في معناه عن هتك المقدس في العملية الإبداعية الأدبية، وفق آليتي الميثاق الأسطوري و التناس الأسطوري حيث رأى الناقد أنّ

هاتين الآليتين كفيلتان باستقراء الحضور الأسطوري في العمل الأدبي، إلا أننا نراهما قاصرتين عن تفسيرها.

- وختاماً نقول إنّ كتاب "بحري" الأسطوري التأسيس والتجنيس والنقد-دراسة في النقد الأسطوري- هو لبنة أساسية تضيء للباحث أبجديات قراءة الأسطورة و الأسطورة الأدبية، وتبني له طريق المعرفة، لا سيما أنّ موضوع الأسطورة وضع الباحث المتخصص في متاهة المفهوم وزبقيته، و تملصها من كل منظومة معرفية مفاهيمية، و إن كانت تنتمي إليها (علم النفس، التاريخ، الأنثروبولوجيا، علم السحر،...).

7. قائمة المراجع:

- عليوي سامية. (2013). التلقي و النقد الأسطوري، يقلم ايف شوفرال. مجلة قراءات ،ع5، 2013،ص9-28.
- كليطوعبد الفتاح (2006)، الأدب و الغرابية، المغرب، دار توبقال للنشر.
- السواح فراس، (2002)، مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة سوريا أرض الرافدين، دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة، دمشق .
- ك.ك. راثفين. (1981)، الأسطورة، منشورات عويدات، بيروت.
- ديتيان مارسيل، (2008)، اختلاق الميثولوجيا، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، لبنان.
- بحري محمد الأمين،(2018)، الأسطوري التأسيس و التجنيس و النقد،دراسة في النقد الأسطوري، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، الرباط، درا الأمان الجزائر،بيروت.
- دريس محمد الأمين، (2018)، صورة الآخر و حضور الايثوس و الباثيوس و اللوغوس في الخطاب (فيلم المحارب الثالث عشر نموذجاً)، المحرر) مجلة الترجمة و اللغات (2)، جامعة وهران، 59.

8. ملاحق:

محمد الأمين بحري: باحث جزائري و ناقد أكاديمي، يشغل رتبة أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد خيضر- بسكرة-، له عديد النشاطات العلمية و الثقافية لاسيما في مجال المسرح كونه حائز على دبلوم دولي في النقد المسرحي(2018).
من إصداراته العلمية نذكر:

- تعريب كتاب الماركسية لروجيه غارودي الصادر عن دار الحكمة، الجزائر سنة 2009م.
 - كتاب البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، منشورات ضفاف/ بيروت، منشورات الاختلاف/الجزائر، كلمة/ تونس، دار الأمان/ المغرب، 2015م.
 - الأسطوري التأسيس و التجنيس و النقد، منشورات ضفاف/ بيروت،، دار الأمان/ المغرب، منشورات الاختلاف/الجزائر، 2009م.
- و له العديد من المقالات العلمية و النقدية و الفكرية المنشورة في مجلات و طنية و دولية، و مواقع الكترونية.